ملخّص الخاتمةُ - الحلقةُ ٢٤٨
الجزءِ الرابع من ملفِّ الكتابِ والعترة
عُرضت الأربعاء: ٢٧/ ٣/ ١٤٤٣ هـ - ٣/ ١١/ ٢٠٢١ م
عبد الحليم الغزّي

مجموعة حلقات يا إمام... هل من خبرٍ أم أنَّ الانتظار يطول؟؟؟

هذا هو الجزءُ السادس من حديثي في شؤونِ وأحوالِ المرجعِ المعاصر إسحاق الفيّاض.
وعدتكم في الحلقة الماضية أنْ أتحدَّثَ عن الولايةِ التكوينيّة، باعتبارِ أنَّ سُؤالاً وُجِّهَ إلى إسحاق الفيّاض بهذا الخصوص وأجابَ بما أجابَ على هذا السؤال الَّذي وُجِّهَ إليه.
السؤالُ نَصُّهُ هكذا: **ما المقصودُ بالولاية التكوينيّة (الكونيّة)** - فكأنَّ الولاية التكوينيّة هي الولايةُ الكونيّة بحسبِ السؤال - **ما المقصودُ بالولاية التكوينيّة (الكونيّة) للمعصوم؟** - السؤالُ عن الولايةِ التكوينيّة للمعصوم، وأيضاً السؤالُ أطلقَ عليها عنوان (الكونيّة)، فهي وِلايةٌ تكوينيّةٌ وهي وِلايةٌ كونيّةٌ بحسبِ السؤال ، يمكننا أن نقول: (الوِلايَةُ التكوينيّة)، ويمكننا أن نقول: (الوَلايَةُ التكوينية)، القراءتان صحيحتان.
- عرض صورة الصفحة في الموقع الالكتروني الرسمي لإسحاق الفيّاض الَّتي تشتملُ على هذا السؤال وعلى جوابه على هذا السؤال.
السؤال جاءَ ضمن ثلاثة أسئلة، أنا لا أريدُ أن أتحدَّثَ عن كُلِّ نقطة، إنَّما أذهب إلى الأسئلةِ الَّتي ترتبطُ بالمسائلِ الأهم، بالأمورِ الَّتي هي من المتبنيات العقائديّة الأساسية في ثقافة العترة الطاهرة.
هكذا أجاب إسحاقُ الفيّاض: **المقصودُ بها قُدرةُ المعصومِ صلوات الله عليه على فعلِ بعضِ الآياتِ الكونيّة بأمرِ الله تعالى وإذنه، وقد صَدَّقَ ذلكَ القُرآنُ في بعضِ الأولياء كالَّذي أحضرَ عرشَ بلقيس بطرفةِ عينٍ بعلمٍ عندهُ من الكتاب، والمعصومُ عنده** - المعصومُ من آلِ مُحَمَّد - **والمعصومُ عندهُ علمُ الكتابِ كُلِّه بقولهِ تعالى: (كفى باللهِ شهيداً بيني وبينكم ومن عندهُ علمُ الكتاب)، المفسَّرُ بالرواياتِ الصحيحةِ أنَّهُ أميرُ المؤمنين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.**
هذا هو السؤالُ وهذا هو الجواب.
السؤالُ ليس دقيقاً لأنَّهُ جَمَعَ بين عُنوانين مختلفين لمعنونٍ واحد.
- هناكَ وَلايَةٌ تكوينيّةٌ.
- وهناك وَلايَةٌ كونيّةٌ.
وفارقٌ بينَ الولايتين، الولايةُ التكوينيّةُ تأتي في سياقِ الوَلايَةِ الكونيّة، الوَلايةُ الكونيّةُ ولايةٌ أوسعُ بكثيرٍ من الوَلايةِ التكوينيّة.
سؤالُ السائل ليس دقيقاً، هُناكَ مُشكلةٌ في الثقافةِ العقائديّةِ الشيعيّة، والسَّببُ مراجعُ النَّجف.
- هناك من أنكرها وهو لا يفقهها أنكرَ شيئاً ما هو بالوَلايَةِ التكوينيّة.
- وهناك من أثبتها وهو لا يفقهها أيضاً، أثبتَ شيئاً ما هو بالوَلايَةِ التكوينيّة، فَهمٌ مجزوء، فَهمٌ خاطئ.
- وهُناك من أثبتها بنحوٍ جزئيٍّ وفهمها كما يفهمُ المعجزات بالضبطِ ما فعلهُ إسحاقُ الفيّاض هنا، وهذا هو الَّذي عليهِ المجموعةُ الخوئيّةُ المرجعيّة في أحسنِ أحوالهم.
ما ذكرهُ من مثالِ إسحاقُ الفيّاض كان سليماً لكنَّهُ جاء به مثالاً لمفهومٍ عن الولايةِ التكوينيّة لا علاقة لهُ بحقيقةِ الولايةِ التكوينيّة، إنَّهُ عرَّفَ الولايةَ التكوينيّة بقُدرةِ بعضِ الأنبياء على الإتيانِ ببعضِ المعجزات - **قُدرةُ المعصومِ على فعلِ بعضِ الآياتِ الكونيّةِ بأمرِ اللهِ تعالى وإذنه** - إنَّها معجزاتُ بعضِ الأنبياء، الَّذي قامَ به آصف ما كان معجزةً كانَ وَلايَةً تكوينيّة، كان مصداقاً من مصاديقِ الوَلايَةِ التكوينيّةِ في أدنى مراتبها، مراتبُ الوَلايَةِ التكوينيّة الَّتي تُمنحُ للأنبياء يمنحها عليٌّ (كُنْتُ مَعَ الأَنْبِيَاءِ بَاطِناً وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ظَاهِراً)، الوَلايَةُ التكوينيَّةُ الممنوحةُ للأنبياء في مراتبها المتدنيَّة، وبعضُ الأنبياء لا يملكون ولايةً تكوينيةً إنَّما هي معجزاتٌ، هي أفعالٌ آياتٌ تأتي بخلافِ السياقِ بعد دُعاء بعد توسُّلٍ بعد طلبٍ من الله أو بعد طلبٍ من الملائكة، تلكَ معجزاتٌ، الأنبياء الَّذين عندهم حروفٌ من الاسم الأعظم هؤلاء هُم الَّذين يملكونَ مستوى من مستوياتِ الوَلايَةِ التكوينيَّة بعطاء ومَدٍّ ومَدَد من عليٍّ، فعليٌّ هو العنوانُ الأوَّل، قطعاً ما بعدَ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، هو العنوان الأوَّل في عالمِ الأنبياء والأوصياء للوَلايَةِ التكوينيَّة، أعتقدُ أنَّ الصورة باتت واضحةً لديكم، فسؤالُ السائل ليس دقيقاً، وجوابُ المجيبِ ليس صحيحاً، المثالُ الَّذي ضربهُ فيما يرتبطُ بواقعة آصف بن برخيا، ابن برقيا كان صحيحاً، المثالُ صحيحٌ، وما ذكرهُ من آيةِ سورةِ الرعد بخصوص أمير المؤمنين كانَ صحيحاً، لكنَّهُ جمع بين مثالٍ صحيحٍ وبين تعريفٍ خاطئ، وهذا يكشفُ عن عدمِ فهمه؛
- أوَّلاً للولايةِ التكوينيّة.
- وعن عدمِ فهمه للآياتِ القُرآنيّة الَّتي تحدَّثَ عنها فيما يرتبط بآصف وما يرتبطُ بأميرِ المؤمنين.
سأُقَرِّبُ لكم مَفهومَ الوَلايَة التكوينيَّة، أُقرِّبُها لكم بمثالٍ وبعد ذلك نتدرَّجُ شيئاً فشيئاً لمعرفةِ مضمونِ الولايةِ التكوينيّة، وكذلك ما المرادُ من الولايةِ الكونية، قطعاً الحديثُ سيكونُ موجزاً ومختصراً ومجملاً، فهذا الموضوعُ موضوعٌ مُضطردٌ واسعٌ بحاجةٍ إلى عدَّةِ حلقات..
الولايةُ التكوينيَّة أُقرِّبها لكم بمثالِ الإنسان؛ كُلُّ واحدٍ منَّا يمتلكُ ولايةً تكوينيَّة ولها مراتب، أنا الآن موجودٌ هنا حينما أريدُ أن أُحرِّك يدي اليُمنى فيما بيني وبينَ نفسي في مضموني الداخلي، أريدُ أن أُحرِّكَ يدي اليُمنى وأن أضعها هنا، لأيِّ قَصد من المقاصد صارَ قراري الداخلي الآن أن أضعَ يدي اليمنى هنا، ما إنْ أخذتُ هذا القرار حتَّى تحركت يدي ووضعتها هنا، فما كُنتُ مُحتاجاً لا إلى دُعَاء ولا إلى توسّل، أصلاً حتَّى لو كُنتُ كافراً ولا أؤمنُ بوجودِ

الله فإنَّ اللهَ قد أعطاني الوِلايَةَ أساساً، فهي موجودةٌ عندي، حتَّى لو كُنتُ لا أؤمنُ بالله جُملةً وتفصيلاً، لأنَّ الولاية التكوينيّةَ هذه الَّتي عندي هي جُزء من وجودي، هي جُزء من كياني، هي جزء منّي أنا، أنا هذا الكائنُ الَّذي لهُ وجودٌ، لَهُ حقيقةٌ، لهُ جسدٌ، لهُ روحٌ، لهُ عقلٌ.

الأمراضُ كالشلل مثلاً هذه عوارض، نحنُ لا نتحدَّثُ عن العوارض هنا، نتحدَّثُ عن أصل الموضوع، فهذه وَلايَةٌ تكوينيةٌ، هذه مرتبةٌ من الوَلايَة التكوينيّة عندي، إنَّني أُنَفِّذُ ولايتي من دُونِ أيِّ سبب، أردتُ أن أضعَ يدي على هذا الجزء من الكتاب وضعت يدي مباشرةً ما إنْ أردتُ ذلك، لا احتجتُ لسببٍ معنويٍّ كالدعاء والتوسل والعبادة، ولا احتجتُ لسببٍ ماديٍّ أن أستعينَ بآلة مثلاً كي أرفعَ يدي وأضعها هنا، بشكلٍ مباشر ما إنْ اتخذتُ قراري في مضموني الداخلي أنَّي سأضعُ يدي اليمنى على هذا الكتاب كُنْ فَيَكُون، كُنْ فَيَكُون أصلاً قبل أن أقول: كُنْ فَيَكُون، ولذا فإنَّ التعبير في القُرآنِ من أنَّ الله إذا أراد أن يفعلَ شيئاً أن يقولَ لهُ كُنْ، هذا التعبيرُ تعبيرٌ تقريبيٌ، فإنَّ الَّذي يريدهُ اللهُ سُبحانهُ وتعالى أن يتحقَّق، يتحقَّقُ من دُونِ صوت مسموع أو نداء مقروع كما يقولُ أميرُ المؤمنين، أنا يحدثُ عندي هذا من دُونِ أن أقول كُنْ، فكيف الإله؟! ولذا جاء في بعض كلام أمير المؤمنين: (إنَّما أمرهُ ما بَينَ الكَاف والنُّون)، وحتَّى هذا على سبيل التقريب، إنَّما أمرهُ مَا بَينَ الكَافِ والنُّون، يعني أنَّ الإرادة تتحقَّقُ قبل أن تكتمل كلمة (كُنْ)، وهذا تقريبٌ أيضاً، هذا المستوى الأول من مستويات الولاية التكوينيّة.

مستوىً آخر من مستويات الولاية التكوينيّة: أن أصنعَ الأسبابَ وأنْ أطوِّعها.

ومرادي أن أصنعَ سبباً ليس بالضرورة أنِّي أصنعُ السَّبب بنفسي، رُبَّما أصنعهُ بنفسي ورُبَّما يصنعهُ الآخرون من أمثالي، لكن أنا آتي بالأسباب، أنا أُطوِّعُ الأسباب، فحينما أريدُ أن أكتب شيئاً فَلابُدَّ من قلمٍ، ولابُدَّ من مِدادٍ من حبرٍ، ولا بُدَّ من ورقٍ، وبعد ذلكَ أقومُ بالكتابة الَّتي أريدها، هذه ولايةٌ تكوينيّةٌ لكنَّها عبرَ الأسباب، فالقلمُ جُزءٌ من الكون جزءٌ من التكوينيّات، والحبرُ كذلك، والورقُ كذلك، ويدي أيضاً فهذه يدي والقلم والحبر والورق، وقطعاً سأحتاجُ إلى الإضاءة، من دون الإضاءة لا أستطيعُ أن أكتب بشكلٍ صحيح في الظلام، وسأحتاجُ إلى طاولة أو إلى مكان كي أضع الأوراق على ذلك المكان كي أعتمدَ عليه حينما أريدُ الكتابة بشكلٍ جميلٍ وصحيح، هناكَ مجموعةٌ من الأسبابِ التكوينيَّة أُطوِّعها أجمعها أفرِّقُها أرَابطُ فيما بينها، وهكذا، عملٌ بالأسباب، العملُ بالأسبابِ التكوينية هو جزء من ولايتي التكوينية، هُناكَ أسبابٌ لا أستطيعُ أن أصلَ إليها، هذا يعني أنَّ ولايتي التكوينية محدودةٌ بحدود قُدرتي.

هناك مستوىً آخر من مستويات الولاية التكوينيّة: حينما أريدُ أن أؤثِّرَ في الآخرين تعليماً، أو أن أؤثِّر فيهم عاطفياً.

أريدُ أن أُعلِّمكم، أريدُ أن أنقل المعلومات إليكم مثلما أفعل الآن، وهذه المعلوماتُ تنتقلُ إلى أذهانكم، إنَّني أُغيِّركُم من حالة جهلٍ بالمعلومة هذه إلى حالة علمٍ بها، هذا نوعٌ من أنواع الوِلايَة التكوينيّة، مرتبةٌ من مراتبِ الوَلايَة التكوينيّة، إنَّني أؤثِّرُ فيكم أنتم جزء من التكوينيّات، وأنتم كذلك تُؤثِّرون في غيركم، وغيركم جزءٌ من التكوينيّات، هذه مصاديقُ من الوَلايَة التكوينيّة الفاعلة.

عندنا مستوىً من الولاية التكوينيّة ما هو بمستوى فاعل: الخيال.

الخيال عندي مساحةٌ واسعةٌ بإمكاني أن أؤسِّس الدول العظيمة والحضارات الهائلة وبعد ذلك أقوم بإعدامها في خيالي، بإمكاني أن أخلق ما أستطيعُ أن أخلقَ من الكائنات الغريبة الَّتي لا وجود لها على أرض الواقع وبعد ذلكَ أُغيِّرُ في ألوانها وأشكالها وقابليّاتها ثُمَّ أقوم بإعدامها أو بتحويلها إلى أشياء أخرى، كُلُّ ذلك يحدثُ في عالَم الخيال، إنَّها وَلايةٌ تكوينيّةٌ لكنَّها بمستوى الخيال، لماذا؟ كي نُدرِكَ معنى الوَلايَة التكوينية عند إمام زماننا، خيالُ المعصوم معصوم، هذا إذا كان عندهُ من خيال، وإنَّما أُقرب الفكرةَ إليكم، نحنُ خيالنا ليسَ معصوماً، ولذا فإنَّنا نستطيعُ أن نُفَعِّلَ وَلايتنا التكوينيّة في عالم الخيال بحدود الخيال، لأنَّنا إذا أردنا أن نُفعِّلها على أرض الوا قع فإنَّنا لا نمتلكُ الحكمة الإلهيّة الكاملة، بل لا نمتلكُ الحكمة أساساً لا كاملة ولا ناقصة، فحينئذٍ سَنُفسدُ في هذا الوجود، حينما نمتلكُ وَلايَةً تكوينيّةً بحيث نُحوِّلُ ما يجري في خيالنا إلى واقع سَنُفسدُ هذا الكون، سنعبثُ بهذا الكون، فإنَّنا لا نمتلكُ الحكمَة الَّتي نستحقُّ بها أن نُمْنَحُ الوَلايَةَ التكوينيّة، مُنِحْنا بحدودنا ومع ذلك نُسيئ التصرُّف، نسيئُ استعمالَ الولايةِ التكوينيّةِ هذه الَّتي مُنِحْنَا إيَّاها بحدودها الضيّقة، كيفَ قُتِلَ الأنبياء؟ كيفَ قُتِلَ الحُسين؟

قُتِلَ الحُسين بولاية تكوينيّةٍ موجودةٍ عند الَّذين قتلوه، بحدودهم، حينما نتحدَّثُ عن الولايةِ التكوينيّةِ من أنَّها لابُدَّ أن تكون بإذنِ الله، ما كُلُّ شيء هُو بإذنِ الله، ما كُلُّ شيءٍ هو بأمرِ الله، هل نستطيعُ أن نتصوَّر أنَّ شيئاً يكونُ في هذا الوجود من دونِ أمره من دونِ إذنه؟ نحنُ لا نحتاجُ إلى هذا القيد، هذا القيدُ ناشئٌ من عقائد المقصِّرة المرجئة، يُريدون أن يُقلِّموا يُقطِّعوا يُقصِّروا بقدرِ ما يستطيعون من ولايةِ المعصوم، بينما هُم هُم أنفسهم يمتلكونَ وَلايَةً تكوينية، كالمعاني الَّتي بينتها لكم، ويتصرفون بها من دون إذنٍ مباشرٍ من دونِ أمرٍ مباشرٍ من الله.

قلتُ لكم الكافر، قتلوا الحُسين بولايةٍ تكوينيّةٍ عندهم، هذا هو الَّذي يجري في عالَمنا، (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ)، وهذا الرَّبُّ هو ربُّ الوَلايَة هُوَ الإمامُ المعصوم، فنحنُ عندنا وَلايَةٌ تكوينيّة، ولها مراتبُ ومظاهر، هي جزءٌ من كياننا، لا نحتاجُ إلى دُعاء ولا نحتاجُ إلى توسُّل، بل هي فاعلةٌ ومُشتغلةٌ حتَّى مع كُفرنا وإلحادنا، مثلما قلتُ لكم كيف قتلوا الحُسين؟ قتلوا الحُسين بولاية تكوينيّة عندهم، بالأسبابِ وغيرِ الأسباب، ذبحوا الحُسينَ بالسيوف، مثلما أمسكتُ بالقلم كي أكتبَ بالقلم، فهل احتاجوا إلى دُعاء أو إلى إذنٍ مباشرٍ من الله كي يقتلوا الحُسين، كُلُّ شيءٍ بأمرِ الله، كُلُّ شيء بإذنِ الله، ولكنَّ الله سُبحانه وتعالى هو الَّذي منحنا الوَلايَةَ التكوينيّة.

في الكتاب الكريم:

سأضرب لكم مستويين على سبيلِ المثال من المستويات الَّتي تحدَّث فيها القُرآنُ عن الولايةِ التكوينيّة.

تَحدَّث القُرآنُ عن الوَلايَة التكوينيّة بنحوٍ عام تحت عنوان التسخير على سبيل المثال:

في سورة إبراهيم، الآية الثَّانية والثلاثين وما بعدها من الآيات بعد البسملة، هُناكَ حديثٌ عن الولاية التكوينيّة في مستوىً من مستويات التسخير: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ** - الفلكُ هي السفائنُ، هي البواخر، هذا مظهر من مظاهرِ الوَلايَة التكوينية ولكن عبرَ الأسباب - **لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ** - هنا ولايتي أنا وأنتم لا تصلُ إلى الشَّمس والقمر لكنَّها تصلُ إلى الفُلك؛ "**لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ**"، بأمر الله، وتصلُ إلى الأنهار كي أنتفع منها، كي أشرب منها، كي أفتح منها السواقي، كي أغتسلَ فيها، و و..

- **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ الله لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار** - ومعَ ذلك فقد منحهُ الوَلايَة التكوينيّة بحسبه وجعلَ الأشياء مُسخَّرةً لهُ، تارةً من دُون سببٍ مثلما سَخَّرَ نفسهُ لنفسه، سَخَّرَ جسدهُ لنفسه، ومثلما سَخَّرَ الأسباب الأخرى، فَسَخَّرَ الفُلك لهُ وسَخَّرَ الأنهار وهو يفعلُ في كُلِّ ذلك بالأسباب الَّتي يكونُ قادراً على صناعتها هو، أو أنَّ مُماثلاً لهُ من بني جنسه يكونُ قادراً على صناعتها وهو يستعملها.

في سُورة لقمان، الآية العشرين بعد البسملة: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾، هذا الخطابُ لي ولكم بالإجمال، ولـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد بالتفصيل وبالمباشرة، السَّماواتُ سُخِّرت لي أنا؟! كيفَ سُخِّرت؟ منافعها تصلُ إلي، قَطعاً بعضُ منافعها، فتسخيرُ ما في السَّماوات وما في الأرض وإسباغُ كُلِّ النِّعمِ بظواهرها وبواطنها لا يصلُ إلي، ولذا فعلاقتي بهذه الآية أنا، علاقتنا جميعاً علاقةٌ إجماليّةٌ وبنحوٍ غيرِ مُباشر، هذا الخطابُ بالنَّحوِ التفصيلي وبالنَّحوِ المباشرِ لـمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد فقط، إنَّني أتحدَّثُ عن مُحَمَّد وعليٍّ وفَاطمَة أئمَّةُ الأئمَّة، وأتحدَّثُ عن وُلد فَاطمَة منَ الأئمَّة من المجتبى إلى القائم فقط وفقط، إنَّها الوَلايةُ التكوينيّةُ الكُليّةُ المطلقةُ عند الحُجَّة بن الحسن؛ (**أَيْنَ السَّبَبُ** - في دُعاء النُّدبَة الشريف، السَّببُ الأوَّلُ والآخر الظَّاهر والباطن - **أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء**)، والحديثُ عن السَّماء وعن الأرض هنا عناوين، لا تُمثِّلُ الحقيقة، إنَّها عناوينُ تشيرُ من بعيد إلى الوجود بقضِّه وقضيضه، فالأرضُ تُشيرُ إلى عوالم الشهادة، والسَّماءُ تُشيرُ إلى عَوالم الغيب، هذا هو السببُ المتَّصلُ بكُلِّ معاني الاتصال، ما بينَ عوالمِ الشهادة والغيب، وعوالمُ الغَيبِ ليست محصورةً في السَّماء، السَّماءُ جُزءٌ يسيرٌ من عوالم الغيب على عظمتها، والأرضُ جزءٌ يسيرٌ من عالم الشهادة، تلكَ رموزٌ ليسَ إلَّا.

في سورة الجاثية، الآية الثَّالثة بعدَ العاشرة بعد البسملة: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْه** - مِنْهُ إليكم - **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، نحنُ الَّذينَ يجبُ علينا أن نتفكَّر في هذه الآيات، والآياتُ عنوانٌ في الكتابِ كُلِّه من عناوينِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، "**وسَخَّرَ لَكُم**"، هذا الخطابُ بحقيقته وبدقيقته وبوثيقته ومضمونه وبظاهرهِ وبباطنه وبكُلِّ تفاصيله للحُجَّة بن الحسن لـمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، قطعاً في مستوى من المستويات، ولايتهم مستواها أعلى من هذا، ولايتُهم ستتَّضحُ لكم، قلتُ لكم من أنَّني سأشرحُ الموضوع بالتدريج.

هذا لا ينطبقُ عَليَّ، فهل سُخِّرت لي السَّماواتُ والأرضُ وما فيها جميعاً ومن الله مُباشرةً لي؟ أنا أستلمُ الفيضَ عبرَ الأسباب، (أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء)، زيارةُ النُّدبة جاء فيها ونحن نُخاطبهم: (**فَمَا شَيْءٍ مِنَّا** - وإنَّما أخذَ الإنسانُ هنا مثالاً، باعتبارِ أنَّ الزَّائر هو الإنسان، وإلَّا فهذا الكلامُ ينطبقُ على جميع الموجودات - **فَمَا شَيْءٍ مِنَّا إِلَّا وَأَنْتُم لَهُ السَّبَب وَإِلَيه السَّبِيل**)، الفيضُ يصلُ إليَّ بالأسباب، لا يصلُ إليَّ من الله مُباشرةً، مثلما يُسدُّ جوعي بالطعام، الطعامُ سبب وهذا الطعامُ يأتي عبر الأسباب، يأتي عبرَ التسوق، وعبر الطبخ، وعبر النباتات، وعبر الحيوانات، وَ و و، عبر الأسباب، وأصلُ هذا الفيض كُلِّه يأتيني عبر إمام زماني، فهو بوّابةُ الفيض نحنُ هكذا نُسلِّمُ في الزيارة الجامعة الكبيرة من أنَّهُم أولياء النِّعم، بوّاباتُ النِّعم هم، أسبابُ النِّعمِ هم، إذا فهمنا هذا علينا أن نتفكَّر فيه - **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** - مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد لا يتفكَّرون، التفكُّر تَفعُّل، تَعمَّل، تَصَعُّد، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد الحقيقةُ واضحةٌ عندهم في كُلِّ مراتبها فلا يحتاجونَ إلى تَفكُّر، أنا محتاجٌ للتفكُّر كما يقولُ سيِّدُ الأوصياء: (أَلَا لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّم)، أنا أحتاجُ إلى التفهُّم في علمي، (أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَة لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّر)، أنا أحتاجُ التدبُّر في قراءتي، (أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَة لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّر)، أنا أحتاجُ إلى التفكُّرِ في عبادتي، أمَّا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد لا يحتاجونَ إلى التفهُّم، لا يحتاجون إلى التدبُّر، لا يحتاجون إلى التفكُّر، من هنا قلنا إذا كان لهم من خيال - لا خيال لهم وإنَّما لتقريبِ المعاني أقولُ هذا - إذا كان لهم من خيالٍ فخيالهم معصوم، المعصومُ لا خيالَ عندهُ، المعصومُ هو مجمعُ الحقيقة، فما حاجتهُ للخيال؟!

في سورة الزخرف، الآية الثالثة والرابعة بعد البسملة: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** - جعلناهُ جعلاً، ما هو بألفاظ، ولا هو بعربي، وإنَّما جعلناهُ جعلاً لماذا؟ - **لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون** - هذه وسيلةٌ هذا سببٌ، أمَّا حقيقتهُ - **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم**﴾، هذا هو أميرُ المؤمنين بحسبِ تفسيرهم، وأنت تُخاطبُ إمامَ زمانكَ بهذا الخطابِ في دُعاء النُّدبة: (**يَا ابْنَ النَّبَأ العَظِيم يَا ابْنَ مَن هُوَ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَى الله عَلِيٌّ حَكِيم**)، أميرُ المؤمنين في زياراته نُخاطَبهُ في الأحاديث التفسيريّة هذا أمرٌ واضحٌ لا حاجة للدخولِ فيه.

"وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخرُجُ مِّنْكَ إِلَى غَيرِك"

هناك مستوى آخر، قلت لكم مستوياتٌ عديدةٌ في الكتاب الكريم تحدَّثَ بها عن الوَلايَة التكوينيّة:

- مستوى آخر تحتَ عنوان "علمِ الكتاب".

في سورة النمل، الآية التاسعة والثلاثين والَّتي بعدها بعدَ البسملة، وقبلها هاتين الآيتين فإنَّ سُليمانَ النَّبي في مجلسه الخاصّ في غرفة العمليّات كما يُقال في يومنا هذا: ﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا** - بعرشِ ملكة سبأ - **قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِين** - أرادَ أن يُظهِر قُدرتهُ وقُدرةَ دولته - **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ** - وعفاريتُ الجنّ هُم أقوى الجن، هؤلاء يطيرونَ في الهواء بحسبِ ما حدَّثتنا الروايات، ويمتلكونَ قُدرةً هائلةً على الانتقال السريع - **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِه** - بالمواصفات التالية - **قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْه لَقَوِيٌّ أَمِين** - "أَنَا آتِيكَ بِه"؛ هذا يعني أنَّهُ سيستعملُ سُرعتهُ في الانتقال، وسيستعملُ قُدرتهُ في الحمل والنقل، إنَّها ولايةٌ تكوينيّةٌ لكنَّها عبرَ الأسباب، مثلما استعملتُ القلمَ للكتابة.

حينما يقول "لَقَوِيٌّ أَمِين"، أنا قادرٌ على نقله، أنا قادرٌ على أن أحملهُ لكَ من بلاد سبأ من اليمن، فأنا أمتلكُ القُدرة على أن أحمل الأثقالَ الهائلة وأن أنتقلَ بها بسرعة مع محافظتي على جودتها وعلى طبيعتها، هذه ولايةٌ تكوينيّةٌ لكنَّها عبرَ الأسباب - **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** - علمُ الكتاب؛ هُنا عنوانٌ للولايةِ التكوينيّةِ الَّتي مدارُ السؤالِ عنها، فهذه ولايةٌ تكوينيّةٌ عند آصف بمستوى حرفٍ واحد، في المستوياتِ الأدنى من الولايةِ التكوينيةِ الممنوحة من قبلِ علي.

-**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** - إنَّهُ آصفُ بن برخيا - **أَنَا آتِيكَ بِه** - هذا وصيُّ سُليمان - **قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُك** - عجيبٌ هذا!! قبلَ أنْ يرتدَّ إليكَ طَرفُكَ ما المُراد؟ لُغةً قد يُعبَّرُ عن ومضة العين، ما المرادُ من ومضة العين؟ هذه الحركةُ السريعة عندما نُنزِلُ أجفاننا على عيوننا بسرعة، لكنَّنا إذا دقَّقنا ما المرادُ من ارتداد الطرف؟ فهل حينما أنزلنا جُفوننا وأصعدناها ارتدَّ طَرفُنا؟ والمرادُ من الطرف هنا عُيوننا، عُيوننا النَّاظرة، يُمكن أن يكون بعنايةٍ معنويةٍ مُنظورةٍ عندَ الاستعمال اللغوي، لكنَّنا إذا أردنا أن نُدقِّقَ أكثر فإنَّ الدقَّةَ تقودنا إلى شيءٍ آخر!

نحنُ كيف نرى الأشياء؟ هل نرى الأشياء بعيوننا؟ يعني هل أنَّ العَينَ تمتلكُ القدرةَ الحقيقيّةَ على رؤيةِ الأشياء؟ إذاً لماذا في الظلامِ لا نرى؟ إذا كانت العيون تمتلك فعلاً القدرة على الرؤيةِ بما هي هي، عُيونا تقرأُ ما ينقلهُ الضوءُ إلينا، الضوءُ هو الَّذي ينقلُ المعلوماتِ إلى عُيونِنا، عُيونُنا بمثابة جهاز كمبيوتر، وهذا الجهاز يقرأُ الشفرات، وهذه الشفرات تأتي عبر الضوءِ، الضوء سريعٌ نحنُ لا نتحسَّسُه، لا نتحسَّس سرعتهُ، الضوءُ هو الَّذي ينقلُ إلينا صُورَ الأشياء ﴿**قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُك**﴾، يعني قبل أن يصلَ الضوءُ إليكَ من صُورِ الأشياء من حولك، وهذا أسرع من ومضة النَّظر، من نُزولِ الجفن وصعوده، لكنَّ التعبير: ﴿**قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُك**﴾، الطرفُ لا يرتدُّ هنا، الضوء يرتدُّ، فآصَفُ يقولُ لسُليمان إنِّي آتيكَ به بسرعة هي أسرعُ من سرعة الضوء، هذا هو الَّذي يريدُ أن يقوله، هذه الوَلايةُ التكوينيّةُ الَّتي ترتبطُ بحروف الاسمِ الأعظم، وولايةُ آصف تحدَّثت عنها الرواياتُ من أنَّها في أدونِ المراتب.

-**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ** - بسرعةٍ هي أسرع من سرعة الضوء، كم هي؟ لا نستطيعُ أن نتخيّلها - **قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي**﴾، إلى آخرِ ما جاء في الآيةِ الكريمة.

إذا رجعنا إلى أحاديث أهل البيت وهم يُحدِّثوننا عن الطريقة الَّتي نَقَلَ بها آصفُ عرش بلقيس:

في الكافي، الجزء الأوّل/ طبعة دار الأسوة/ طهران - إيران/ صفحة ٢٥٧/ عنوان الباب: "باب ما أُعطي الأئمَّةُ من اسم الله الأعظم".

الحديثُ الثَّالث: **بِسنده** - بسند الكُليني - **عَن أَبِي الحَسَنِ صَاحِبِ العَسْكَر** - يعني إمامنا الهادي صلواتُ الله وسلامهُ عليه، قد يُعبِّرُ عنهُ بهذا التعبير، أذهب إلى موطن الحاجة من حديثه الشريف: **كَانَ عِنْدَ آصفَ حَرْفٌ فَتَكَلَّمَ بِهِ فَانْخَرَقَت لَهُ الأَرْضُ** - انخرقَت لآصف فقط وليس لكُلِّ الكون وليس لكُلِّ النَّاس - **فَانْخَرَقَت لَهُ الأَرْضُ فِيمَا بَيْنَهُ** - هُوَ بين آصف - **وَبَينَ سَبَأ** - وهو جالس في مجلس سُليمان - **فَتَنَاوَلَ عَرْشَ بِلْقِيس حَتَّى صَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَان ثُمَّ انْبَسَطَت الأَرْض فِي أَقَلِّ مِنْ طَرْفَة عَيْن** - في سُرعة هي أسرعُ من سُرعة الضوء.

فآصَفُ هنا كما يقولُ إمامنا الهادي: **فَانْخَرَقَت لَهُ الأَرْض فِيمَا بَينَهُ** - هُو، الجالسون في المجلس لم تنخرق الأرضُ عندهم، هُوَ انخرقت عنده، هُوَ عنده تواصل مع بُعد من أبعاد المادّة، هذا البُعد الَّذي يستطيعُ أن يسحبَ المواد أن يسحبَ بعضها من البعض الآخر، بحيث يستطيعُ أن يسحبَ عرشَ بلقيس عبر كُلِّ هذه الأبعاد وعبر كُلِّ هذه الحواجز وعبر كُلِّ هذه المواد حينما انخرقت مادّةُ الأرض - **ثُمَّ انْبَسَطَت الأَرْض فِي أَقَلِّ مِنْ طَرْفَة عَيْن** - لم يشعُر أحدٌ بذلك، هُوَ يشعرُ بها، لم يشعرْ أحدٌ من الجالسين في المجلس بذلك، سُليمانُ صاحبُ ولايةٍ تكوينيةٍ وكانت أعلى رُتبةً من ولايةِ آصف، فآصف وصيٌّه، إلَّا أنَّهُ أرادَ أن يُظهرَ قُدرةَ وصيِّه للجالسين في مجلسه ولبلقيس القادمة.

في زيارات أهل البيت في أدعيتهم هُناكَ إشاراتٌ خاطفةٌ تُشيرُ إلى مستوياتِ ولايتهم التكوينيّة، قطعاً بحسب المتلقّي، القضيّةُ لم تكن مذكورةً في القُرآنِ فقط، في الرواياتِ، في الأحاديث، في الأدعية، في الزيارات.

على سبيل المثال: في (مفاتيح الجنان)، في الزيارة الرجبيّة وهي زيارةٌ جامعة، وردتنا من النَّاحية المقدَّسة، أيّام السّفير الثَّالث الحسين بن روح رضوان الله تعالى عليه، وهي زيارةٌ موجزةٌ مختصرة: **أَنَا سَائِلُكُم** - الزَّائر يُخاطبهم صلواتُ الله عليهم عندَ زيارته للمشاهد الشريفة - **أَنَا سَائِلُكُم وَآمِلُكُم فِيمَا إِلَيْكُم التَّفْوِيض وَعَلَيكُم التَّعْوِيض، فَبِكُم يُجْبَرُ الْمَهِيض** - المكسور الكَسير - **وَيُشْفَى الْمَرِيض وَمَا تَزْدَادُ الأَرْحَامُ وَمَا تَغِيض** - المهيض؛ قد يكونُ مهيضاً بنحوٍ ماديٍ، وقد يكونُ مهيضاً بنحوٍ معنويٍ، إنَّها الحالاتُ النَّفسيّةُ من الهُمومِ والغُموم، بسببِ ما يجري حولَ الإنسَان، وحتَّى المرضُ كذلك، هذه أمثلةٌ نماذجُ للمُجريات الكونيّة الَّتي هي من شؤونِ تطبيقات ولايتهم التكوينيّة العامَّة.

وأمَّا زيارةُ الجامعة الكبيرة فهذه العبارةُ تختصرُ المطلب: (**وَدَلَّ كُلَّ شَيء لَكُم** صلواتُ الله عليكم، هذا عنوانٌ كُلِّي.

التعبيرُ الأعمقُ والأدقُّ والَّذي يشتَملُ على مضمون الولاية الكونيّة والولَاية التكوينيّة ما جاء في دعاء شهر رجب المرويّ عن إمام زماننا الحُجَّة بن الحسن صلواتُ الله وسلامهُ عليه، من (مفاتيح الجنان): **لَا فَرقَ بَينَكَ وَبَينَهَا** - الدعاء هكذا يبدأ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلَاةُ أَمْرِكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّك** - ويستمر الدعاء - **لَا فَرقَ بَينَكَ وَبَينَهَا إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك**.

هم عبادٌ وخلقٌ خلقَهم أنْ جعلَ الولاية التكوينيّة جزءاً من ذواتهم، مثلما جعلَ الولاية التكوينيّةَ لي بحسبي جُزءاً من ذاتي، القضيّةُ ما هي بقضيّة دُعاء، ولا بقضيّةِ صلاةِ ركعتين، ولا بقضيّةِ كرامةٍ تُمنحُ وقد تُسلَب، الإمام مثلما هو إمامٌ، مثلما هو الحُجّةُ بنُ الحسَن هُوَ وليٌ لهُ الولايةُ الكونيّة والولايةُ التكوينية.

وهذا المضمونُ هُوَ هُوَ في الآيةِ الأخيرةِ من سورة الرعد: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِالله شَهِيْداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾، آصف عندهُ حرفٌ واحد، وعليٌ عندهُ كُلُّ الحروف، هل هُناكَ من وجهٍ للمُقايسة؟! الولايةُ التكوينيّةُ لآصفَ نحنُ لا نُدركُ أسرارها، فهل نستطيعُ أن نُدركَ أسرار ولاية عليٍ صلواتُ الله وسلامه عليه؟!

في سورة الكهف، الآية الرابعة والأربعين بعد البسملة، هذه الآيةُ وأمثالها تتحدَّثُ عن معنىً أعمق وأدق عن ولايةِ عليٍ الكونيّة والتكوينيّة: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِ** - هُنَالِكَ نهايةُ المطاف في الحقيقة أين؟ هنا - **هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً**﴾، بحسبِ تفسيرهم الَّذي بايعنا عليه في بيعة الغدير؛ الولايةُ هنا ولايةُ عليٍ، هكذا فَسَّروا الآية صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، وهذا التفسير موجودٌ في الكافي الشريف في الجزء الأوّل وفي سائرِ كُتبنا الحديثية.

الولايةُ على إطلاقِ معانيها في كُلِّ مراتبها، إنَّها الولايةُ الكونيةُ والتكوينيّةُ وما وراء ذلك، والحقُّ في كُلِّ الكتابِ الكريم عُنوانٌ لعليٍ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، من هُنا جاء الوصفُ بالحق، جاء الوصفُ لله بالحق، وصفاتُ الله وأسماءُ الله هُم كما يقول صادقهم: (**نَحنُ الأَسْمَاءُ الحُسْنى**)، إيَ والله يا صادق العترة أنتُم الأسماءُ الحُسنى ومَن غيرُكم؟! هؤلاء مراجعُ النَّجف يُلحدونَ في هذه الأسماء، مثلما نقرأُ في سورة الأعراف في الآية الثمانين بعد المئة بعد البسملة: ﴿**وَلِلّه الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** - الإمامُ الصَّادقُ يقول "نَحنُ الأَسْمَاءُ الحُسْنى" - **وَذَرُواْ الَّذِيْنَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِه**﴾، هؤلاء بالضبط مراجعُ الشيعةِ في تفاسيرهم، فإنَّهم يُفسرونَ الأسماء الحُسنى بهذه الألفاظ: (العليّ، العَظِيمُ، الغَفُور، الرَّحِيمُ)، هذه الأسماءُ الحُسنى ولكنَّها في عالمِ الألفاظ، الأسماءُ الحُسنى في عالمِ الحقيقة مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد.

أمَّا الولايةُ الكونيّةُ لم يبقى عندي من الوقتِ إلَّا القليل سأحدِّثكم عنها بشكلٍ مُوجزٍ سريع، سأُقَرِّبُ لكم الفكرة بمثالٍ وسأُوضِّحها لكم بقدر ما أستطيع بشكلٍ موجز:

نحنُ عندنا وجودٌ وعندنا ظُهور، وفارقٌ بين الوجودِ والظهور، هذا الَّذي أنا عليه هذا ظُهوري، هذه صورتي، أمَّا أصلُ وجودي فهو فيما الوراء.

أُقَرِّبُ لكم الفكرة بمثالٍ حسيٍ، والأمثلةُ الحسيّةُ في مثل هذهِ الموضوعات تُقَرِّبُ من وجهٍ وتُبَعِّدُ من وجوه، أتمنَّى أن تنظروا إلى الجهةِ الَّتي أُشيرُ إليها إلى الجهة الَّتي أقصدها.

الولايةُ الكونيّةُ؛ ولايةٌ مبسوطةٌ على الوجود.

الولايةُ التكوينيّةُ؛ ولايةٌ مبسوطةٌ على الظهور.

يُمكنني أن أُقرب الكلام بهذا المثال: ماكينةُ السينما الَّتي تُوضَعُ فيها بَكْرَةُ شريطِ الفيلمِ، تطوَّرت الآن، أتحدَّثُ عن الماكينة التقليديّة، تكونُ في مكانٍ عالٍ، تُركَّبُ عليها بَكْرَةُ الفيلم الَّتي يُلَفُّ عليها شريطُ الفيلم السينمائي، وهناكَ مَخْرَجٌ من خلاله ينبعثُ إشعاعُ الماكينة السينمائيّة باتجاه الشاشة، فإذا ما انبعثَ إشعاعُ الماكينة السينمائيّة باتجاه شاشة السينما فإنَّ الأحداثَ ستُعرَضُ على الشاشة والمشاهدون سيُشاهدون الفيلم السينمائي، نحنُ بمثابة الفيلم السينمائي، نحن الظهور، نحنُ الصورة، وجودنا هذا هو وجودنا في مرحلة الظهور، هذه صورةٌ عن وجودنا الحقيقي، فما يُعرَضُ على شاشة السينما هو نحنُ، أمَّا أصل وجودنا أين؟ أصلُ وجودنا في البَكْرَة، في بَكْرَة الفيلم، صاحبُ الولاية على بَكْرَة الفيلم وعلى الفيلم نفسه على الشاشة هُوَ المتحكِّمُ بماكينة السينما، فبإمكانه أن يقطعَ الإشعاعَ وحينئذ لا وجودَ للفيلمِ على الشاشة، بإمكانه أن ينقلَ الإشعاع إلى شاشة ثانية.

الولايةُ التكوينيّةُ: ولايةٌ على وجودنا في مرحلة الظهور، فالوليّ إذا أرادَ أن يُفعِّل ولايتهُ في مستوى الولاية التكوينيّة بإمكانه أن يُميتنا، بإمكانه أن يُحيينا، بإمكانه أن يُغَيِّب وُجودَنا في مرحلة الظهور أن يُفتِّتنا إلى أجزاء، لكنَّهُ لن يعدمنا، إنَّما خُلقنا للبقاء وما خُلقنا للفناء، للفناء بمعنى العدم النهائي، وإلَّا فإنَّنا سنمرّ بمرحلة الفناء ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ۝ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾، صاحبُ الولاية الَّذي يُفني ويُوجد، صاحبُ الولاية الكونيّة، إذا أراد أن يعدمنا أصلاً فإنَّه سيُفعِّلُ ولايتهُ الكونيّة كي يَعدمَ بَكْرَة الفيلم، أمَّا أن يعدمنا في مرحلة الظهور فهذا إعدامٌ ظاهريٌ، إنَّهُ تغييبٌ لصُورتنا في مرحلة الظهور، فبإمكانه أن يُعيدِ صُورتنا إلى شاشة أخرى، أو أن يُعيدها إلى نفسِ الشاشة السابقة، لكن إذا ما أتلفَ بَكْرَة الفيلم فإنَّهُ قد أعدم وجودنا، المثالُ كما قُلتُ حسيٌ يُقرِّبُ من وجهٍ ويُبَعِّدُ من وجوه.

في أدعية ليلة النصف من شعبان، دُعاءٌ مرويٌّ عن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله، من الأدعية الَّتي يُدعى بها سُجوداً في ليلة النصف من شعبان، هكذا نقولُ فيها: **سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي** - سَوادي في مرحلةِ الوجود، وخيالي في مرحلةِ الظهور، السَّوادُ أعلى رُتبةً من الخيال، الخيالُ انعكاسٌ للسواد.

في زيارة الصدِّيقة الكُبرى: **يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ** - إنَّها مرحلةُ الوجود، أمَّا مرحلةُ الخَلْق فهي مرحلةُ الظهور.

الوجودُ؛ بمثابة الخَزَّان الأصل وذلك هو الفَيضُ الأعظَم، تلكَ هي الرَّحمةُ الواسعة، وهُوَ التجلّي الأعظم من المشيئة الأولى، فإنَّ الله خلقَ المشيئةَ بنفسها، أوَّل ما خَلقَ اللهُ خَلقَ المشيئة، الحقيقةُ المُحمّديَّة، ثُمَّ خَلَقَ الأشياءَ بالمشيئة - **وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكِ أَوْلِيَاء وَمُصَدِّقُونَ وَصَابِرُون** - يَا زَهْرَاء، إنَّها الزيارةُ نفسها الَّتي في أوَّلها: **يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ** - وَجَدَكِ إنَّها مرحلةُ الوجود، كُنتِ موجودةً قبلَ الخَلق، هذه مرحلةُ الوجود بحسبها، الزيارةُ عميقةٌ جِدّاً لستُ في مقامِ شَرحها.

في زيارةِ النَّدبة:

في الجزء التاسع والتسعين من (بحار الأنوار) لشيخنا المجلسي، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي، صفحة (٩٣): **فَمَا شَيءٌ منَّا** - الزيارةُ مرويّة عن إمام زماننا - **إلَّا وَأَنْتُم لَهُ السَّبَب وَإِلَيْه السَّبِيل** - السَّببُ يرتبطُ بمرحلة الوجود، والسَّبيل يرتبطُ بمرحلة الظهور، السَّببُ إشارةٌ إلى الولايةِ الكونيّة، والسَّبيلُ إشارةٌ إلى الولاية التكوينية، السببُ أعلى من السّبيل، قطعاً لهذه العبائرِ وجوهٌ أخرى.

حتَّى ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**وَإِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُم وَحِسَابُهُم عَلَيكُم**)، الإيابُ إشارةٌ إلى الولايةِ الكونيّة، إيابُ الوجود إلى أصله، وحسابُهم في مرحلة الظهور حيثُ التفاصيلُ التكوينيّة، فالحسابُ يكونُ في مرحلة الظهور.

في الزيارةِ الرضويّة الَّتي تُعرَف بالزيارة الجواديّة:

إنَّها مرويّةٌ عن إمامنا الجواد لزيارة إمامنا الرِّضا، من نفس الجزء الَّذي أشرتُ إليه قبل قليل، نُخاطبُ الإمام الرضا، ونتحدَّثُ عن مُحَمَّد وآل مُحَمَّد: **السَّلَامُ عَلَى مَنْ لَم يَقْطَع اللهُ عَنْهُم صَلَوَاته فِي آنَاء السَّاعَات وَبِهِم سَكَنَت السَّوَاكن وَتَحَرَّكَت الْمُتَحَرِّكَات** - قد يُفهَمُ هذا القول عن السَّواكنِ في عالَم الظهور وعن المتحركات أيضاً، في عالم الظهورِ هناكَ سواكنُ بحدود المعاني الظاهرة، وإلَّا في عالم الظهورِ لا تُوجدُ سواكن، كُلُّ شيء في عالمِ الظهور مُتحركٌ مُتغيِّر، في مستوى أُفق الوجود هناكَ السَّواكن، وجودنا ساكنٌ أمَّا ظُهورنا مُتحرِّكٌ، في مرحلة الوجود الَّذي يخضعُ للولايةِ الكَونيّة - **وَتَحَرَّكَت الْمُتَحَرِّكَات** - في مرحلة الظهور الَّذي يخضعُ لولايةِ التكوينيّة، ويأتيكَ الأغبياء مراجعُ النَّجف يقولونَ: إنَّ المعصوم ليس لهُ من ولايةٍ تشريعيّة! ذوله بالله شتحچي وياهم هالغبران؟!